المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصر بينا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد أرقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاضد الملي أرقى من المسلمين فلهم مجلس ملي وجمعيات وجرائد دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحمدتهم واحمدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون لمثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيبا ويجعل عنوان خطابته « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحيون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكد تقر شقشقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط ويقنعهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين ومأموري المراكز منهم فوافقتهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقنعهم ذلك بل تمادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قبيل المحتلين بغير حق واغلظوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولا ثقيلا في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزئ بهم

وافتخر عليهم فكان ذلك جل مايبغون من حركتهم الجديدة (١)

قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكيلون كل يوم للشيخ عبد العزيز من الصيعان الكثيرة في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم إن المسلمين يريدون بتعصبهم الديني استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى أوربا للاستغاثة بدولها وامها المسيحية قبل ان يبيدهم المسلمون المتعصبون او يضطروهم الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبد العزيز شاويش الذي أهانوه أضعاف ما أهانهم وان يرد عليه ويتبرأ منه كبراء المسلمين ، ويعقدون الاندية والسمار للبحث في هذه النازلة ويكتتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليونا من المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان المسلمين قاموا منذ سنين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

(١) مما كتبوه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز التي جعلوها تكأتهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى ماجاء في العدد ٣٦٩٨ من جريدة مصر الصادر في ٩ يونيو الماضي وهذا نصه :

اللواء والاقباط

« انا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة انحاء القطر نقابل ماجاء بصحيفة اللواء امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصغي الى قوله او يلتفت الى وقاحته بل ينبذ نبذ النواة ويترك ينبح نبح الكلاب وليس من يسمع له قولا »

ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتلغرافات الكثيرة لما تكتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق اللذين خلق (أي اللواء) لهما عدوا ليخزى هو واتباعه (أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء) اذا كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئا بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

نفوس القارئين والسامعين، والاساتذة والمتعلمين، أن صار يفضل كثير منهم القبطي، على المسلم الشامي والحجازي . . . ، بل سمعت غير واحد من المعلمين والمتعلمين يقول لا فرق عندي بين ان يكون أمير البلاد مسلماً أو قبطيا ـ وان المسلمين جعلوا أحزابهم وأنديتهم شرعا بينهم و بين القبط ـ وان القبط يتعصب بعضهم لبعض في كل مصلحة وكل عمــل حتى في القضاء — وان المسلمين على شدتهم في انتقاد حكامهم قلما ينتقدون القبط فهم ينتقدون وزير المعارف المسلم على إحسانه في عمله بحجة انه لم يكن فيــه مرغما للانكليز ولا معاندا لهم أو انه يجب عليه ان يعمل أكثر مما عمل ولا ينتقدون وزير الخارجية القبطي الذي هو ألصق بالمحتلين و بالاتفاق معه سلخ لورد كرومر السودان من ملك الدولة العلية وملكه للانكليز وكان رئيس محكمة دنشواي التي ظلت الجرائد الاسلامية تعير وتسب العضو المسلم فيها ولم تذكر رئيسها بسوء ـ من علم هـذا وأمثاله يتعجب أشد التعجب لهـذه الثورة المعنوية التي أثارتها القبط في الوقت الذي بالغ فيه المسلمون في موادتهم وتوثيق عرى الاخاء بينهم وبينهم . حقا ان في الأمر مثارا للعجب ، وقل رأينا من بحث في حقيقة السبب ،

يقول بعض الناس تبعا لبعض الجرائد أن قطبي الرحا لهـذه الحركة اخنوخ افندي فانوس رئيس جمعية الرابطة المسيحية ومجمع الاصلاح القبطي وصاحب جريدة مصر اللذان يسمى كل منهما الجعل ولده مديراً فهما اللذان أيقظا هذه الفتنة لحظ شخصي فكانت فتنة جنسية او طائفية باتباع الجمهور لهما . ومن رأيي أنهما بريئان من هذه التهمة ولو كان ذلك هفوة لهما ، لما خفي على جمهور طائفتهما الحازمة اليقظة ، بل يغلب على ظني ان هذه الطائفة تجل عن أن تتوسل الى تقرير جعل المديرين منها بهذه الوسيلة لان ربح مدير لا يوازي خسارة مودة المسلمين لهم ، ودعوتهم الى مساواتهم ومؤاخاتهم ـ هذه الخسارة التي تعرضوا لها الآن، بمنتهى ما عندهم من الجرأة والإقدام

والراجح عندي ان القوم شعروا بالتغير الجديد في السياسة وعلم بعض كبرائهم بالنبا الذي نشرناه في الجزء الماضي قبل ان نعلم به ـــ وهو عزم الانكليز على السماح لأمير البلاد بإنشاء مجلس نيابي ـــ ومن البديهي ان جمهور القبط لا يرغبون في ان يكون في مصر مجلس نيابي ولا أن يقلل المحتلون من سيطرتهم على البلاد . فلما علموا بذلك

رأوا أنه لا سبيل الى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة الا باقناع امتهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم يهضمون وهم الاكثرون حقوق الاقلين.
واني لمعظم لقدرهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وان ترجح عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم ، وجاء الأمر على خلاف مرادهم ، وحينئذ يكون شر هذه الحركة اكثر من خيرها ، وإثمها اكبر من نفعها ،

سمعنا غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم الملية يعد من الأمور الطبيعية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تعتصم بعروة التعصب فانها تذوب وتفنى في الامة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معذورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعية لابد منها

ونقول نعم إن ذلك طبيعي وبديهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر جحوده فما بالك بادعاء ضده . ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مباحة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تبغي بالطريقة التي جرت عليها القبط في هذه الأيام الا إذا كان لها حدث جديد، أو أوت الى ركن شديد ،

يعبرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويُبدُون بأنهم أصحاب البلاد ، لأنهم سلالة فرعون ذي الاوتاد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأتاوي معتد ، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون ، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وهم في الحقيقة رعايا ذميون ، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان ، وما هو الركن الشديد الذي يأوون اليه الآن ،

لا يظهر لنا حدث غير ماينباه من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمير بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤلية إدارتها. ولا نعرف لهم ركنا فيما صمدوا اليه الا رغبة السياسة الأوربية عامة والانكليزية خاصة في نبز نهضة المسلمين بالتعصب الديني — فهذا ماراوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم ، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

مصر برهاناً على ان في مصر تعصباً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانه فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه والتعويل في رغائبهم عليه ،

ولكن فاتهم على حذقهم أن السياسة (لا سيما الانكليزية منها) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصدها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كمسألة التعصب الاسلامي ، او حقيقية كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنبشرهم بأن السياسة الجديدة التي بينها المنار في الجزء الماضي واقعة مالها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صار موكولا الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيره عاماً او أ كثر وما ذلك بالربح الكثير في جنب ما يخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهكم بمجد الاسلام الاول والشماتة بزواله كالتعبير عنه « بالعظمة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يعتذروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، و بالسعي في جمع كلمة نصارى السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده مايكتبون في الجرائد ، و بترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوربية ، لإيهام أوربا ان في البلاد تعصباً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المغاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خسارا عليهم و ربحا للقبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يبغون بها ان يتحدوا بالقبط و يتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم و يؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن

رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فتبين لهم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتي نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري ـ وانهم لا يرضون بمقاومة الاجنبي ولا يودون استقلال البلاد دونه ـ وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبوهم من أضعف جانب فيهم كنبزهم بلقب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطبائهم واحزابهم وعد القبطي أخاً لهم ، والمسلم غير المصري « دخيلا » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجمعياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالغلو في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأي فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أي غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خسارا للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثمر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائغة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه — اذا تمادى وعظم — القيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي اكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن

وناهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من التقاطع والتدابر بين العشراء والخلطاء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا يغتروا بترجيع بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به ـ ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مهما أصابوا من تعضيد في مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه و يعودوا إلى سابق شأنهم أو إلى خير منه ان استطاعوا والمسلمون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان يغفروا لهم ، وينسوا ما كان منهم ، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غرٌّ كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا انني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فانني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي أغار عليها ، ولكنني أفضل أن يكون تنبيههم لذلك بغير هذا ، أحب ان يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووئام مع من يعيش معهم . وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط — ولو لم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيراً لهم وأحسن إطفاء لتلك الفتنة وخذلانا لموقظيها . ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوقائع في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم الملي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التأنيب والتجريح ، فضلا عن الهجر والتقبيح ،

ومما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يمتازون بحق رسمي على غيرهم من النصارى المتجنسين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود أيضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجعلون فيها المصريين عنصرين فقط ويعدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويعدهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة اوا كثر فالنسب القديم ليس شرطا للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الامم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديرا كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديرا ووزيرا ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخنوخ افندي فانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لا تزال حكومة إسلامية خلافا لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أميرها وكيلا لخليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولادارته لأوقاف المسلمين ، ولتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له ام هو لا يملكها الآن الا بالتغلب والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لان البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟ ؟ يهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لانه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ماهو ديني محض وما هو مدني شرعي

تسمي القبط ماتطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشيء قط فلماذا تكون أمورهم الملية الخاصة كالمحاكم الشرعية والاوقاف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون امور القبط الملية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

يغلب على ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التمادي في هذا العدو والصياح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الراجحين بشاقهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لو لا أنني اظن صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لغلب على ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجتهم هذه هي السر الدن غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وانا مصدّق لذلك الخبر فلا يبعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كنيستهم (كنتربري) والا كانت القبط طائفة حمقاء وما عهدنها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيّل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير بانشاء المجلس النيابي وتقرر بالفعل انه لافرق بينهم و بين المسلمين في الحكومة — وما ذلك بمحال —

فانني اشـهد للقبط بأنها أرقى طوائف الشرق الادنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة الملية لا أقرن بها تركيا ولا عربيا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيا بل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعذر في التشوّف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحقيقة بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ماقيل كان برهانا على علو همتها ، وثقتها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافلة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات ووافقها بعض آخر كما وافقتها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكاتبين من الفريقين الهجر والسباب ، والتنابز بالالقاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ماهو من صناعة البلغاء ، ولكن القبط تطلب ان يعتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تعتذر للجميع عما تقول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد تمادلا في الاهانة فتساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر بقي معنا انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يغلب على الفريقين نزعة الرابطة الدينية ، (وان تنصل من ذلك كل منهما) وأن هذه الحركة أضعفت ماقام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة الملية ، وابعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لايطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم أمة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدريج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا ببث رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الغيور عليهم ، المتفاني في ترقيتهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا وينتهزها انتهازا ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟؟

اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قلتهم في جانب الروس المشهورين بالتعصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقبط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الحظ الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها إسلامية والبلاد عن كونها دار إسلام فمن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكوّن الوطنية الحقيقية ، التي تمتزج فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا بدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجعلنا القبط مديرين لامور المسلمين ، والخال على مانعلم منهما ، او مايدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرنا العدوان ، وأرَّثنا الأضغان ، ووضعنا في طريق الوطنية سدًّا لا يُدك ولا يُظهَر ، وعقبة لاتزول ولا تقتحم ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذاً ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا ماراّه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخطئ فيه بادر الى المتاب ، واستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حسيب افندي عامر وكيل تلغراف (بلبيس — شرقية)

حضرة العلامة المفضال صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظة « ما » وما تشير اليه في قوله عز وجل — لااعبد ماتعبدون ولاانتم عابدون مااعبد — فإني إن أعطيتها حكم غير **العاقل** كقاعدتها النحوية استحال ذلك على المولى سبحانه وتعالى وان اعطيتها حكم **العاقل** فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذي عقل أفيدوني مأجورين والسلام

(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة اي «المعبود» واذا أريد بها الصفة تطلق على العاقل وغيره . وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل بعد اطلاقها على الاصنام من قبيل المشاكلة لاجل التناسق في التعبير . ولعل السائل يعلم انه نقل عن سيبويه وغيره ان كون « ما » لما لا يعقل أغلبي لا مطرد والشواهد عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة . قال الزمخشري في الكشاف : «وما» عامّ في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك قول العلماء « من لما يعقل» اه اي فاطلقوا «ما» على العاقل في نفس القاعدة التي ذكروا فيها ان « من » خاصة بالعاقل . وفي حاشية الامير على المغني بعد ذكر عبارة الكشاف : قال التفتازاني اي يصح إطلاق ما على ذي العقل وغيره عند الابهام لاستفهام او غيره فاذا علم ان الشيء من ذوي العلم والعقل فرق بمن وما فتختص « من » بالعاقل و « ما » بغيره . وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء . واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطباق

أهل العربية على قولهم « من لما يعقل » من غير تجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كان لغوا بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان مايعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنانعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر مبهما مرادا به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » وليقع وصفه يعقل مفيدا غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لا حظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : مالانسان ؟ اه وانت تعلم ان (ما) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي تفسره الصلة

هذا ، واني رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألني غير واحد بالمشافهة عن معنى مافيها من صورة التكرار فأحببت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تتمة للفائدة وهو :

« الكافر هو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغمض عينيه ، واذا سمع الحرف من كلمته سد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يذعن لحجة إذا اخترقت فؤاده ، بل يدفع جميع ذلك حبا فيما وجد نفسه فيه مع الكثير ممن حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه (٨: ٢٢ انشر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفراده يقول للداعي إلى الحق أو يحدث نفسه ليلهيها عن فهمه : الام يدعونا ؟ ألى الله فنحن نعتقد به ؟ ألى توحيده فنحن نوحده ؟ وغاية مافي الأمر نتخذ شفعاء اليه ، نسأله بحقهم عنده أو بمكانتهم لديه ، ألى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده ونتوسل اليهم ليتوسلوا اليه . هذه وساوسهم وهذه أمانيهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم و بين ما عليه الداعي الى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح مايمكن أن يصرح به فقال له (١ قل يا أيها الكافرون ٢ لا أعبد ما تعبدون) أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده لانكم انما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفعاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحوذلك مما تزعمون وانما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم (٣ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي انكم لستم بعابدين إلهي الذي أدعو اليـه كما تزعمون فانكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب اليه بتعظيم الوسائط لديه، فتوسلتم بها اليـه، وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فلهذا لاتعبدون ما أعبـد بل تعصونه وتخالفون أمره. ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعائهم، أو في المعابد التى أقاموها لهم و بأسمائهم، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصـة به أو في خلواتهم، وهم على اعتقادهم بالشفعاء — عبادة لله خالصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء نفى أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال (٤ ولا أنا عابد ماعبدتم) فما هـذه مصدرية وليست بالموصولة مثل التى تقدمت أي ولا أنا بعابد عبادتكم (٥ ولا أنتم عابدون ماأعبد) أي ولا أنتم عابدون عبادتي . فمفاد الجملتين الاوليين الاختلاف التام في المعبود ومفاد الجملتين الأخريين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولاعبادتنا واحدة لان معبودي ذلك الاله الواحد المنزه عن الند والشفيع، المتعالي عن الظهور في شخص معين، أو المحاباة لشعب أو واحد بعينه، الباسط فضله لكل من أخلص له، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبلغين الصادقين عنه، والذي تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتي مخلصة لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فأين هي من عبادتي (٦لكم دينكم) دينكم مختص بكم لايتعداكم إليّ فلا تظنوا اني عليه أوعلى شيء منه (ولي دين (*)) أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعو اليه، ولا مشاركة بينه و بين ما أنتم عليه، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي بيناه هو ما يهدي اليه أسلوب السورة الشريفة خصوصا هذه الآية الاخيرة «لكم دينكم ولي دين» فانها صريحة في ان المراد نفي الخلط المزعوم. ومادلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية (٦: ١٥٩ ان الذين فرقوا

(*) لفظ «دين» مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة لاجل الوقف

دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) أي لاعلاقة بينك و بينهم لافي المعبود ولا في العبادة. وأما ماقيل من غير ذلك فان صح شيء مما ورد فيه فاحمله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تغتر بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يُفهم والله أعلم» اه

النقوط

(س ٦) ومنه:

حضرة العلامة المفضال صاحب المنار الغراء. بعد السلام والتحية — أرشدونا أرشدكم الله: «هل ما يسمى (النقوط) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بالنقدية أو ما يقوم مقامها محلل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين»:

(ج) كل ما يبذل من المال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على باذله ولا على المبذول له إلا ان يقصد به الاعانة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والنقوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وانما هو إكرام من قبيل الهدية والاصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول بها لا يحتاج الى الدليل وانما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الاصل

حديث من زار قبر والديه يوم الجمعة

(س ٧) من الشيخ احمد شرف الدين بالازهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله. اما بعد فقد جمعني وجماعة من اكابر علماء الأزهر الشريف مجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ارعليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامع سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدتموه ونشرتم ذلك بمناركم المضيء وان كان ضعيفاً او غير حديث اوضحتم سبيله ولكم الفضل والحديث هو (قال صلى

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكانما حج ومن زار احدهما فقد أتى بعمرة) واذا صح هـذا فلا لوم اذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لان كلا يريد ان يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرجه بهذا اللفظ وقد علمت ان من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على العمل القليل • وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة غفر له » في اسناده وضاع وله شاهد في اسناده ضعف • وروي « من زار قبر ابيه او أمه او عمته او خالته او احد اقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اه

ولعله يعني بحديث الشاهد « من زار قبر والديه او احدهما في كل يوم جمعة غفر له وكتب برا » لما فيه من الزيارة عزاه في الجامع الصغير الى الحكيم الترمذي عن ابي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي اسناده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الامام احمد انه كان يضع الحديث فهو موضوع لاضعيف ولا شك عندي في ان كل ماروي في هذا المعنى موضوع اختلقه المختلقون بعد اعتياد الناس زيارة قبور الاقربين في ايام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا اصحابه في شئ

زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد افندي حلمي الكاتب الاول لمركز المسلمية (السودان)

حضرة سيدي الحسيب النسيب الفاضل الافخم العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله • عليكم منا السلام والرحمة والبركة والا كرام و بعد فأرجو من فضلكم وكرم اخلاقكم المشهورة الاجابة على السؤالين الآتيين وارجو ان كان سبق لسيادتكم التكلم عنهما في مجلدات غابرة ان تجيبوني عليهما وا كون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتم بدرجها في أول عدد لاهمية لزومها عند الجمهور خصوصاً في هذه الاصقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحتم مشهورين بالعلم والفضل في جو علوم العربية بل صرتم لنا من اركان الاسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

س « ١ » هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل احد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س « ٢ » هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح انه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون او يذيعون ؟ هذه هي اسئلتي ياسيدي وقد اقنعت المجادلين لي في السؤال الاول نقلا عن اغاثة اللهفان للامام الحجة ابن القيم فلم يقنعوا واما السؤال الثاني فلم اتكلم عنه بشيء لعدم معرفتي حقيقته ولم اعثر في الكتاب المذكور على شيء بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتنعوا حتى ينظروا جوابكم بالمنار لاعتقادهم فيه وهم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في مجلتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكتب انا وعلى اي حال فانا ممنونين وتجدنا منتظرين بفارغ الصبر افندم

زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالحج كما يتوهم العوام . وحسبك في الترغيب فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا تشدّ الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » ر اه احمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنهما وعن غيرهما

استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلما تحرى أصحابها الصحاح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهيات والموضوعات

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم وتخييره بقبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادريس اليماني القصاص عن أبيه عن وهب بن منبه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منبه . وأبوه إدريس متروك أيضاً قاله الدار قطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يسكت عنه وان طال عليه الامد وانا سننشر في المنار بعض مانكتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الاسلام ونودع جميع مانكتبه في مصنف خاص . ونعتمد في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تنقيح ما في العبارة) فنبدأ بعبارته ثم نقسم القول ونرد على كل قسم منه بالتفصيل

﴿ القسم الثاني ﴾

« كلامه في الاسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته :

«قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جملة الموانع الكائنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الاوربية من جهة التمدن العمومي يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسمى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح (في المعاملة) ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءته من أسلافه والدم البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه .

«ومن الجهة الاخرى نرى المصري متمسكا كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينوب فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية

وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي الى فاس ومن الاستانة الى زنجبار اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

«فما هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي أثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري؟ انها مبينه في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبينا بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لهم من اعتداء عرب قريش إذ قالوا « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار والاوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي. ان العمل بهذه القواعد قد أفاد مئات الملايين من الذين اعتنقوا الاسلام — وخصوصاً الفقراء بينهم — عزاء روحيا فضلا عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا ريب أن الهيئة الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيرا من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السير جون سيلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشئ الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوما ما حتى ارتقت عن حالها الهمجية ونالت بعض التقدم تجد أنها فعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اه

« ولسوء الحظ نرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها المستر ستانلي لاين بول — وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة ما في الاسلام من

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يعبدوا الها واحداً عبادةطاهرةوقد كانوا من قبل يعبدون آلهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاقاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر : ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هونظام اجتماعي متعددة (أولها) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منحط جدا . (ثانيها) ان الاسلام براعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءا واحدا غير قابل للتفريق او التغيير فنتج عن ذلك ان تلاشي من النظام الاجتماعي مافيه من المرونة . فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة التي وضعت لما يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الاكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي يثبت ارتكابها لجريمة الاعتداء بالسلاح ليلا على احدى القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فإما ان تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بعدذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه اولا ثم يصلب بعدئذ . وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوخز بحربة في الجانب الايسر وتبقى الحربة وهي تحز في محل الجرح الى أن يموت

«ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس . اذ اقلقوا خواطرهم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجربات القرن العشرين المدنية ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمغالاة في اكرام الشارع الاصلي قد قيدت جميع المتعلقين بالاسلام بقيد من حديد لاسبيل الى النجاة منه . ولقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفا بقلنسوة الكاهن » فالمسلم الصحيح في الايام الحاضرة ملتف بالشرع اكثر من التفاف الناس بالقلنسوة في القرون الوسطى .

(ثالثها) ان الأسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق . فقد قال السيد (امير علي) « إن محمداً وجد تلك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فخفض من هذا الشر » ولكنه عجز من إلغائه تماما أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنوانا لسلوكهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب الخجل على المسيحي انه لم يكتف قبل الآن بان يستعبد العبيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يتخطفهم . على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقا على الرق .

« وقد اشتهر أخيرا ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لابد من تحديد وايضاح لهذه التهمة العامة . نعم ان اتباع النبي شهروا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيرا في الحرب وزد على ذلك أن الخصام الطائفي كان كثيرا فقام السنيون في وجه الشيعيين واضطهد السنيون الوهابيين بدون شفقة — على أن الخروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلا منذ سنوات غير كثيرة . ونرى من الجهة الاخرى أن تواريخ الاسلام لم يشوهها شيء من مثل تاريخ ديوان التفتيش ورد على ذلك ايضا أن المسلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لعواطفه فهو لا يتأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي بتساهل يشو به شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد لبث الهلال والصليب والجامع والكنيسة جنباً إلى جنب سنوات كثيرة

ومع ذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل وانماء الحقد والاحتقار لا للمشركين فقط بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله

(ثم أخذ يصف الاسلام فقال) : « ان المسلم مذ قرون كثيرة ما برح يؤمر بأن ينتقم لنفسه من أعدائه وأن يضرب من يضر به عينا بعين وسنا بسن وعليه فان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه يغرس في العقول ان الانتقام والكره يجب أن يكونا أساساً للعلاقات بين الرجل والآخر بدلاً من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يحدث بغضاً خاصا للذين لا يقبلون الدين الإسلامي . يقول القرآن (٤٧ : ٤ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ... ٧ يا أيها الذين

آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم)

وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الصحيفة قوله — « ومن الجهة الاخرى تجد في سورة البقرة قوله (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين) فالأقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية في الاكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته

« نعم ان محمدا انما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجهة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أنسيت كلمة الغازي وهي اسمى لقب يطمع باحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يحارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافراً ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رءوس غير المؤمنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ . ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير اسلامية ,, دار حرب ،، فمتى علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تغرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثاً على الدهشة من نمو روح عدم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتنان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طيانهم وترقيته لعقولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري — مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزلها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفاءته — فهو على كل ذلك لا يقدر أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشا أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكر دائماً ان اليد التي منحتها ليست يد مسلم وهذا الامر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي

أجنبياً عنه . مهما بذل الانكليزي من وسائط التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين — (وهنا نقل اللورد قول المستر باتري) « الاسلام هو كل شيء للفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنعه عن الفتك بهم وإعلان ميزة الاسلام الا حقيقة مكدرة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن »

« وليس هذا وحده الحائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الإلهية المقارنة للاسلام وما يعارضها في النصرانية . وابحث في النتائج التي تلي تحقير المرأة وقابل بين الشرقي الاسمر والغربي الابيض في القوى العقلية والادبية والعادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والاذواق تجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الخافقين . حتى انك لتجد في أقل الامور شأنا في اعمال الحياة باعثاً غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جهة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يلقى في السماء أولئك الذين رافقهم في الارض وهذا الأمل من جمل مظاهر دينه وأكبرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاما عن اعتقاد المسيحي لان الحوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالبا الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة واما المسلم فهو على العموم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طلبا معينا

« المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء وأما المسلم فانه يصلي جهارا بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهارا انه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الاديان الشرقية « ان الله موجود عند المسلمين وجودا يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك »

« ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارا وينام ليلا واما المسلم فهو في صيامه ينقطع عن الاكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فانها تكسر الصور والتماثيل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل شخصا حياً واما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جامع

«قد يكون المسيحي نظيفا بعض الاحيان اعتقادا منه ان النظافة نافعة لصحته وراحته وعنده ان النظافة تلي التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الامرين وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

«ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والادبية تجد الفرق بينهما ظاهراً »

ثم بين فروقا أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحتمل المناقشة ولكنه لم يستنبطها من الدين فنتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :

« وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعج السائح في مصر من معاملة الحيوانات بقساوة لا يزيد على مايرونه في جنوبي أوروبا ولعلها كما قال «لاين» في سنة ١٨٣٥ ليست غرسا منتظم النمو ولكنها ناشئة عن معاشرة الطبقات السافلة من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيرا فقد قال بوسورت سميث : لا يوجد دين اهتم بمحاباة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد ورد في القرآن (٦: ٣٨ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

وكما انصف في هذه جار وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد فقد ذكر قدرة الاوربي على التنظيم واخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال : « فقابل هذه المزايا بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر الذي يجعله قابلا لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره »

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة « مفتحجي » سكة الحديد التي ذكرناها في اول القسم الاول من الرد عليه . وذكر ايضا انه سأل شيخ الازهر هل يعلمون الطلبة فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لايدري . قال اللورد « وقد منعه أدبه الطبيعي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كيلر وكوبرنكوس وتعاليمها » الخ

(للكلام بقية)

القرآن والعلم

٣

تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب

في رد الشبهات التي يوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

المسألة الثامنة

(موت سليمان)

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ فلما قضَينا عليهِ الموتَ (أي على سليمان) مادلهم على موتهِ إلا دابةُ الارضِ تأكل مِنسأتَهُ فلما خرَّ تبيَّنَتِ الجنُّ أن لو كانوا يعلمونَ الغيبَ مالبثوا في العذابِ المهينِ » إعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان إذا لحقه الموت فجأة عقب انفعال عصبي ومجهود جسماني يحصل له تيبس في الحال في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل المات ويبقى على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm اي تيبس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض العساكر يموت ويبقى واقفا مستندا على بندقيته كأنه حي الى ان يبتدأ التعفن في الجثة فتزول يبوستها وتسقط

فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على عصاه (منسأته) ففاجأه الموت فحصل له مايحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يمت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

فشاهدت الجن انه لا يبدي حراكا ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره فداخلهم شك في حالته وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم ثم دخلت فأرة (وهي من دواب الأرض) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتعجبون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع ساعات او يوما او يومين

فلما حركت الفأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن فسقط على الارض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولعرفوا الوفاة حين حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى (٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام)

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ سليمان ماينافيه

﴿ المسألة التاسعة ﴾

(الجسد الذى القي على كرسي سليمان)

قال الله تعالى (٣٨ : ٣٤ ولقد فتنا سليمانَ وألقينا على كُرسِيّه جَسَدًا ثم اناب ٣٥ قال رب اغفر لي وَهب لي مُلكا لا ينبغي لاحدٍ من بعدي إنك أنت الوهابُ» معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان يرزقه ولدا ليرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاختبره الله تعالى ولم يجب دعاءه في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الخلقة (كأن يكون لارأس له ولا مخ أو نحو وذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت منه الى الحي المدرك سماه الله جسدا كأنه لاروح له فلما وجد سليمان أن من رزقه الله ليخلفه في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجر وتألم ولم يشكر الله على كل حال

ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجع الى الله يستغفره على مافرط منه ويرجوه العفو عن عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي » اي حيث إنك لم ترزقني بمن يرثني فيهذا الملك فوسعه علي وزدني سلطانا ومتعني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتى تعوضني بذلك ماحرمتني من النسل الصالح فاستجاب الله دعاءه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطير وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه (وهو ابنه رحبعام) ولكنه كان ضعيف العقل سيء التدبير رديء السياسة حتى خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل ووقع الانقسام بينهم في عهده

فمما تقدم تعلم أن قوله تعالى « وألقينا على كرسيه جسدا » معناه ذلك المولود الناقص وهو أول من رُزقه وقال ألقيناه على كرسيه لأنه بمنزلة وليعهده كما يقولون الآن وتقول العرب « ألقي الليلة على كرسي الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى بالولد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافه فاحذر مما قالوه ولا تعبأ به فانه مثار لشبهات كثيرة

﴿ المسألة العاشرة ﴾

(اللؤلؤ والمرجان)

قال الله تعالى (٥٥ : ١٩ مرج البحرين يلتقيان ٢٠ بينهما برزخ لا يبغيان ٢١ فبأي آلاء ربكما تكذبان ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) قال كثير من الناس إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الحلو

واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الانهار ويوجد في بلاد أوستراليا أنهار مشهورة باستخراج الصدف واللؤلؤ منها وهاك اسماء بعضها :

نهر هنتر Hunter وكلارنس Clarence وكوك Cook's وكليد Clyde

وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales من أوستراليا

﴿ المسألة الحادية عشرة ﴾

(السماء في القرآن)

السماء من سما أي ارتفع فالسماء في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب سماء والكواكب سماوات والفراغ اللانهائي الذي فوق رءوسنا هو سماء أيضاً وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلا لفظ نجم يستعمل في الكوكب وفي النبات فمثال الأول (٥٣ : ١ والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٥٥ : ٦ والنجم والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلا من المعنيين ويسمى هذا النوع من الالفاظ بالمشترك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السماء إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلا في قوله تعالى (١٦ : ١٠ أنزل من السماء ماء) معناه السحاب . ولذلك قال في آية أخرى (٢٤ : ٤٣ ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله) الاية وفي قوله (٢٢ : ١٥ فليمدد بسبب الى السماء) يعني سقف البيت وفي قوله (٥٥ : ٧ والسماء رفعها ووضع الميزان) معناه الكواكب والألف واللام هنا للجنس وكذلك في قوله تعالى (٥٠ : ٦ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماسكة ثم هي في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه بعضا (وزيناها) بأن جعلنا أشكالها جميلة مستديرة وان بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالانوار الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (ومالها من فروج) أي شقوق فلا ترى كوكباً منها به كسور أو منشقة أجزاؤه أو متفرقة فهو كتأكيد لقوله بنيناها وفي قوله تعالى (٦٧ : ٥ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) السماء الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ اللانهائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين بانقضاض الشهب منها لاهلاكهم كما في قوله (٣٧: ١٠ إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وهذه المسألة لا يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة له فنحن نصدقها لإتيان النبي الصادق بها وقد ثبتت نبوته عندنا بالبراهين القاطعة كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧ : ٢ خلق سبع سماوات طباقاً) المراد به الأجرام السبعة العلوية المشهورة التي كانت تعرفها العرب وتراها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما تعرفه العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالاجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين والسبعمائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥ : ٤٤ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فان المقام مقام تهويل لا يناسبه إلا ذكر العدد الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى المقام عدم ذكر العدد هنا بالمرة لقلته فلو لم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع ان العدد لا مفهوم له ومثل ذلك قوله تعالى (٣١: ٢٧ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)

قد يقول قائل ما بالك تذكر هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع أن القمر تابع للارض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا هذه . ونقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سموات طباقاً وقلنا إن الاجرام التي خلقها الله هي عالية بالنسبة لنا فهي سموات وهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فان هذه المسائل لا علاقه لها بتفسير الآية كما لا يخفى على ذي عقل

ويستعمل لفظ السماء في اللغات الافرنجية أيضاً في عدة معاني مختلفة ففي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والمقام هو الذي يعين هذه المعاني المختلفة كما هو المعهود في اللغة العربية

(المسألة الثانية عشرة)

(الارض والجبال)

قال الله تعالى (٦٥: ١٢ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزَّل الأمرُ بينهن) وقال (١٦: ١٥ وألقى في الأرض رواسيَ أن تميد بكم) وقال (٧٨: ٧ والجبال أوتادا)

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع الا في الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقا لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فانها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع فلذا قال هنا « ومن الارض (بالافراد) مثلهن » أي في العدد وهي كونها سبعا وفي كونها طباقا ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الاصلية أو الاساسية فان الآية لاتدل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الاصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لامفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما بيناه سابقا في مسألة السموات

وقوله « وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم » تميد من مادت السفينة أي

---

(١) حاشية — من تذكر أن لكثير من السيارات توابع كالقمر بالنسبة للأرض وهذه التوابع أو الاقمار تضيئها فَهِمَ معنى قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) فان الألف واللام هنا تصح أن تكون للجنس لا للعهد والمعني أن الله جعل الاقمار أنوارا تضيء بها السموات

مالت واضطربت فمعنى الآية أن الله أثقل الارض بالجبال لمنعها من الميدان والتزلزل الدائم وذلك أن الجبال بوجودها في بعض الجهات جعلت ثقل الارض في جميع الجهات متساويا بالنسبة الى المركز فاذا دارت الارض حول مركزها لايحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوميا من حركة الارض حول محورها . وأيضاً فان الجبال بثقلها العظيم على الارض وبما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كونت طبقة حجرية عظيمة تقي ماين الجبال من الوديان من انفجار باطن الارض الملتهب ونسف قشرتها أو زلزالها الدائم ولا يخفى أن أغلب الاراضي المسكونة انما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلولا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هدأ للبشر جميعا بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادرا كما هو الآن وحاصلا لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباسا » أي كاللباس في الستر . فالمعنى أن الجبال كالاوتاد المغروسة في الارض واذا لاحظنا أن الارض تجذبها من جميع نقطها الى مركزها كما تشد الاوتاد بالحبال المربوطة بها أدركنا ما بينهما من الشبه العظيم وفهمنا نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالاوتاد كذلك شبه الاهرام المصرية بها في قوله « ٨٩ : ١٠ وفرعون ذي الاوتاد »

﴿ المسألة الثالثة عشرة ﴾

(تفسير آيات عدم صلب المسيح)

قال الله تعالى (٤ : ١٥٧ وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح) قالوا ذلك تهكما والمسيح معناه عندهم الملك لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم وسمي عيسى مسيحا لانه كملك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والاوهام والعقائد السخيفة ورقى نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالملوك العظام الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمونه هو وغيره من الملوك النافعين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون ان المسيح سيأتي ويرد

لهم ؛ افقدوه من المجد والسلطان (عيسى) تعريب لفظ يشوع ومعناه المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسمي به كثيرون قبل المسيح بينهم كيشوع خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفاءلون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خير لخلاصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب (بن مريم · وماقتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم) أي اشتبه عليهم الامر فأخذوا واحدا يشبهه ظانين أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه · واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الخلقة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاماً بحيث يخدع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم فقد فرَّ تلاميذه من حوله وهربوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد ·

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا مايحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتبهون عليهم بغيرهم وقد ذكر «جاي» و« فرير » مؤلفا (كتاب اصول الطب الشرعي) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهدا لمعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم أربعون منهم بأنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقون ترددوا جداً ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون وغاش مع زوجة مارتين محاطا باقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالها كثير

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض مايوجد في غيرهم ممن شابههم من الكسور او الجروح او آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جدَّ الاطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين

فاذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع

الظن كما في الحادثة التي سبقت ولذلك اختلفت طوائف النصارى قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيهاما وجد عندهم من الكتب كابيناه في موضع آخر .ولوكانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

(وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى (٣:٥٥ إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا) وكقوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة (٥:١١٧ فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الامور المعنوية . قال تعالى (٢:٢٥٣ ورفع بعضهم درجات) وقال (٧:١٧٦ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض) فمعنى الآية انهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الاعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته واسكنه بجواره وذلك كله على حد قوله في مواضع أخرى (٣ : ١٦٩ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله (٥٤:٥٤ إن المتقين في جنات ونهر ٥٥ في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فكل هذه العبارات « كعند الله » و « رفعه الله اليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب الى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصا يشبهه فاغتروا به فأخذوه وقتلوه وصلبوه. ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وان يقبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدبره لسيده فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذا وبيلا وأما المسيح فكان قد توفاه الله وأنجاه من مثل هذا العذاب

وذهاب بعض الانبياء الى بعض الجبال ووفاتهم بها امر معهود كما وقع لموسى عليه السلام (راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ — ٦)

ثم قال الله تعالى (٤ : ١٥٨ وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) اي أن كل شخص من اهل الكتاب لا بد عند

وفاته ان تتضح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه انهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به الا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية

واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بانه سيجيء يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد الا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

واما قوله تعالى (٤٣ : ٦١ وإنه لَعِلْمٌ للساعة فلا تَمترُنَّ بها) فمعناه إنه لدليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله (٢١ : ٩١ وجعلناها وابنها آية للعالمين

ولقائل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من حوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى (٦١ : ١٤ يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) . ونقول اما في عصر المسيح عليه السلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وفاته فقد سلط الله الرومانيين على اليهود فشتتوهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الارض ويزداد عددهم شيئاً فشيئاً حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت ديانتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على اعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى (٣ : ٥٥ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وانما عبر تعالى بالفاء في قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنيننا هنا هي عند الله كلحظات (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) (انهم يرونه بعيدا ونراه

قريبا) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليههم لنبيهم لاينافي انهم مؤمنين به فلذا وصفهم الله تعالى بالايمان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله تعالى (٥٧ : ٢٨ ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة و بين اصل الايمان »   (للمسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٤

﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أنكر ما للأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف ــ الدين الذي يكفر منكره شيئان القرآن وما تواتر عن النبي (ص)

ونقول ان الله جل شأنه ارسل رسلا اوجب على عباده تصديقهم واتباعهم في كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله ــ و بعبارة اخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب على الله ينزل عليه كتابا يقرأه او كلاما يتلوه بلفظه ــ بل عرفوا الرسول بأنه بشر أوحي اليه بشرع وامر بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول ام بالفعل على ان القول مقدم على الفعل ومعرفة الشرع بالقول اكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخصص طريقا ولا طرقا معينة لحملة الشرائع في تبليغها الى من نأى و بعد مكانا او زمانا ولم يذكر في موضع ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين بغير تواتر معذور ولم يقل ذلك احد من رسله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من البشر في شؤون دنياهم الاجتماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فحين تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

الذي دل الشرع والعقل عليه وعليه اتفق اهل الملل قاطبة وهذا مما نجلّ حضرة الدكتور عن مخالفته

بعث الله رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر بالمحال ولا يكلف نفسا الا وسعها فلو أوجب على الامم تبليغ كل مسئلة من شرعه بالتواتر وعلى المبلَّغين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً للاشاة الاديان، ومعطلا لسائر المواصلات ومعاملات بني الانسان، والله منزه عن ارادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لنقل مسائل الدين

دل القرآن على ان من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسله وردها جحدا أو مكابرة أو بماشا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسله واستحق العقاب وشديد العذاب

ومن بلغته الحجة عن رسول من رسله حين وجوب طاعته في خصوص تلك المسئلة من طريق لايردها في جميع شؤونه ولا ينكر صحتها بعد البحث والتنقيب ثم ردها جاء عن الرسول بتلك الطريق تشهياً فلا شك انه معاند ومكابر ومنابذ لطاعة ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة او آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين – يعني الاحاديث الصحاح الآحادي ولو كانت مشهورة ومستفيضة – ثم قوله « الدين الذي يكفر منكره شيئان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في ان من انكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في انه لا يكون الشيء واجبا الااذا نقل بالتواتر. والحق ان التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما ان من أنكر ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من انكر بعض الواجبات عند غيره كما قد عرفت ان الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرائطه عند أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض صوره وعلى قول الجمهور يمكن ان يوجد تواتر في أمر مَّا ويعسر على بعض الناس معرفته وتحقق وقوعه في ذلك الامر بل يمكن ان يوافيه حمامه، قبل ان يبلغ من ذلك مرامه، والحق ان من انكر ما عرف وجوبه من دين الاسلام وصار ذلك معلوماً له ولو بخبر

الآحاد كفر وكذلك من انكر ماهومعلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد الاسلام اونشأ بعيداً عن العلماء كفر وان لم يكن منقولا بالتواتر المعروف عند التواترية

نحن لا ننكر ان بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكنّ ننكر انحصار العلم الخبري فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما انا لا نسلم ان ماهو متواتر عند اناس يلزم ان يسلم تواتره الآخرون .

ان من رمى التقليد جانبا وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري نظر الناقد البصير علم علماً لا يعتريه شك ان كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما جاء به المعصومون عليهم الصلاة والسلام ، عن الخلاق فاطر الأنام ، وحيث كان غرضنا في هذا المقام تحقيق الخبر المسند الى رسول الله (ص) ومايجب قبوله ومالايجب نقول

العلم والطرق المؤدية إليه

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية اليه فنهم من شدد وضيق فلم يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه اهمالاً لأفضل ماامتاز به الانسان في اعلامدارج انسانيته هو تعطيل لجميع الارتفاقات والتعاون على تحصيل أنواع العلوم المختلفة المواضيع اذ من المحال ان يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي قد حققها وعرفها جميع البشر — فهؤلاء المضيقون غاية معتقدهم تعرية الانسان عن أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما عرف من ان إحساس بعضها أقوى من احساس الانسان . ومن نتائج مذهبهم المشئوم ضياع وانحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين افراد الناس في أشد ضروراتهم — ولذلك ترى هؤلاء المضيقين من أكثر الناس تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجدهم على جانب بعيدوفي غاية لمناقضة لما أصلوه مما ذكرناه عنهم

ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوحي

وهؤلاء هم الزنادقة المنكرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوات وهؤلاء يؤول انكارهم الى تنقيصه تعالى شأنه المؤدي إلى نفيه المؤدي الى المحال في الضروريات والقدح في المشاهدات وكون الشيء فاعلا لنفسه أومفعولاً لغيرفاعل

ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فسلم بأكثر الطرق المؤدية الى العلوم لكنه أهمل بعضها لاشتراطه لها شروطاً يعسر أو يتعذر وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من تقدم ذكرهم من الملحدين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسماع أو بلوغه بالاجماع علماً أو التواتر فقد نصب في طريقه العقبات، واقام دونه سد المحالات، وشرع في الدين مالم يأذن به الله، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع مايتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ انا لا أظن انه يلتزم ذلك في الأول ولئن التزمه فالواقع والمشاهدة ترده وهي أعدل حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم

إذا بطل في الاول اشتراط ذلك ففي الاديان كذلك لما قدمنا من تلازم القدر بالشرع فلا فرق يعتد به

وعليه فالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية -وهوما عليه عامة البشر « فطرة الله التى فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضررا على احد والمخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروي حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عمن لا يعلم حاله والامر ماذكرناه وجب عليه التنقيب فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ماقررناه في الرد على الدكتور صدقي (ص ٩٢٦ م ٩) وقد ذكرناه منذ ايام في ذلك فرأيناه مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الآحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم

يقبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيح بلا مرجح لم يوجب الله علينا معشر المسلمين التقيد بما اسس بعض الناس بل نهانا عن التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر فما وافق ديننا الذي هو الدين المستحيل مخالفته للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل ان تترك مالدينا من الحق ونقتصر على مالدى المخالفين وان دل عليه ديننا اماماخالف ديننا فلاشك انه مخالف للعدل والعقل وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ماينافض مادل العقل الصحيح عليه (١) ومن زعم ذلك فعليه البيان نعم في الدين اشياء لم تستعد بعض العقول لإدرا كها وسببه ماقدمناه من تضييق بعض الناس وسد اكثر ابواب الطرق المؤدية الى العلم فاذا كل لبعض الناس استعداده العقلي وصار انسانا بالمعنى الذي خلق لاجله فلا شك انه يدرك معلومات لا يكمل العقل الا بادرا كها فعلى من لم يأت هذه البيوت من أبوابها ان يسأل اهل العلم (للكلام بقية)

شكر المنار على تأبين ذكاء الملك

رسالة جاءتنا من العالم الاديب بدائع نكار ميرزا فضل الله البيهقي مدرس العلوم الادبية في مدرسة طهران السياسية . ورغب الينا ميرزا محمدعلي خان نجل صديقنا (رحمه الله) ذكاء الملك ان ننشرها في المنار فنشرناها شاكرين للاديبين فضلهما وهي

هو

جدير ان يوذّن في المنار   معارف عنونت في المنار (٢)
وكنا في محاق الجهل دهرا   بغرته سلخنا من سرار
سأجعل شكر منشئها دثاري   واجعل مدحه ابدا شعاري

---

(١) المنار : صرح بهذا شيخا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتصديا لبيانه بما كتبه الثاني في أعلام الموقعين من التفصيل البديع (٢) لعل الأصل « معارف عنونت باسم المنار » او « عنونت في ذا المنار » فسقط لفظ « ذا » سهوا

وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءا ؛ ونصب وجوه أملي لشمول عواطفه رجاءا ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف، والتقرب اليه بطرائف اللطائف ، الا كطالب الإيناس قبل الابساس ، والملح بلا اسباب وامراس ، ولكني اجلّ سيدي من ان يحتاج العبد الى تقرب به بالوسائل ، ويمتّ اليه بذرائع القبائل ؛ لان داعي فضله على المنار جهارا ، يدعونا الى نار قراه ليلا ونهارا ؛ فلا ألام على ذلك الاقدام ان لبيت دعوته ، وصليت قبلته ، وأتيت ناره ، ويممت داره ،

قَبِيلٌ بممبج مأواه ونائله في الشرق يسأل عمن نيله سيلا

على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من مولاي نعمه التي أحيت القلوب ، واماتت العيوب ، وحسّن منا الاخلاق ، وعلق علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الثناء ،

* ولو سكتوا اثنت عليه الحقائب *

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنار في مدرسة السياسة من طهران ، بعد ما وقفت على فاتحة المجلة في خراسان ،

تنورتها من أرض طوس واهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالي

وقفت على تأبين الفقيد الفريد ذكاء الملك طاب الله ثراه فأخذني من الأسف ماجر بي إلى التلف

فقدنا ذكاء الملك لابل سماءه وما حال ملك زال عنه ذكاؤه

فقدناه لو ان يفتدي لفديته ولكن قضاء الله حتم مضاؤه

مضى رحمه الله وأصمى على قلوبنا سهام الهموم ، وأحمى على اكبادنا مكاوي الغموم ، فلولا خلفاه الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمراه اليانعان ، وقمراه الطالعان ، لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكنا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه

وفي الحيّ بالميت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

فها انا مع عقدة لساني ، وعجمة بياني ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، ونقصان بضاعتي ، وكلالة يراعتي . أشكر من مولاي أدام الله بقاه ، تأبينه على فقيدنا ذكاء الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رءوس أهل الأدب ،

ويقيمه على تثقيف الاود من العجم والعرب ، وأن يجعل كتابي هذا عنده مقبولاً ، لا مردود علي مبذولاً ، وأنهي الى تلك الحضرة العالية من أدينا ذكاء الملك بن الذكاء ، أزكى واوفى الثناء ، اختم كتابي معتذرا بذلك الخطاب

لا تنكرن وان اهديت نحوك من علومك الغر وأدابك التقا
فقيّم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا

العبد فضل الله بن داود البيهقي المدعو بدائع نكار
للسدة السنية العلية والعتبة البهية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

البرهان الصريح ، في بشائر النبي والمسيح

(عليهما السلام)

بعونه تعالى سننشر كتاباً فيه بشائر النبي والمسيح عليهما السلام منها للنبي عليه السلام وأمته من نبوة اشعيا ص ٤٠ عدد ٣ وص ٤ عدد ٢ و ٢٥ وص ٤٢ عدد ١-١٦ ونبوة دانيال ص ٢ و ٧ و ٩ الوارد فيها ختام النبوة والحساب من حرب ادريانوس ملك الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانتهاء المدة سنة ٦٢٢ وهي سنة الهجرة والاذن بالفتح والجهاد . ونبين فيه صحة الترجمة في مواضع مهمة في التكوين بشأن سيدنا اسماعيل ص ١٦ عدد ١٢ «انساناً وحشياً» قال العالم الاسرائيلي الترجمة انسان بري (يسكن البرية) يده في الكل ويد الكل فيه ولفظه العبراني بيرى آدام أي آدم بري ويده في الكل المراد به سيدنا محمد عليه السلام لانه من اسماعيل . وفي مزمور ٨٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته أي نبينا ابن اسماعيل عليهما السلام لانه سمي اسماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضاً اجعله أمة لانه نسلك والاصل العبراني ان نسلك هو ولفظه « كي زرعخاهو » اي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام «وخلق الرب له من غير اب» من نبوة ارمياص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئاً حديثاً في الارض انثى تحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأييد نبوة ارمياهذه في القرآن الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعياص ٤٩ المختصة بالمسيح يحكى بالوحي مايكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني لها عد ٥ قال الرب جابلي من

البطن عبداً له لارجاع يعقوب فيضم اليه اسرائيل وم ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤ اما انا فقلت عبثاً ولجيئه الثاني عد٦ قال سهل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصوري اسرائيل واجعلك نوراً لامم لتكون خلاصي الى أقصى الارض. ثم أكد ذلك في عد٨ــ١٣ وفي عد٦ «واجعلك» قالوا بدلها فقد جعلتك . وما ذكر في اعمال الرسل ص١٣ عد ٤٧ خلاف الاصل العبراني أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوة ميخاص ٥ عد ٣ و٤ تؤيد ان له مجيئين كنبوة اشعيا هذه ص ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشعيا ص ١١ التي هي لمجيئه الثاني لان فيها يرفع راية الامم ويجمع بني اسرائيل من أربعة أطراف الارض وهذا معنى ماورد في نبوة اشعيا ص٤٩ عدد٦ لتكون خلاصي الى أقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشعيا أيضاً المتممة لص ١١ وهذا في آخر الايام كما في نبوة هوشع ص ٣ عد ٥ ونبوة اشعيا ص ٤٩ تؤيد مجيء المسيح بمجيئه الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في ارض فلسطين كما في عد ٧ والرب يحميه منهم كما في عد٣ «في كنانته اخفاني» وعد٨ «وحفظتك» وقد قلعت اليهود من أرض فلسطين سنة ١٣٢ م لما دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشعيا ص ٥٣ عد٨ «انه ضرب من أجل ذنب شعبي» والاصل «ضربة لهم» ولفظهم بالعبراني «لامو» لان الكلام في الشعب الذين اخذوا البابل وحضروا منها والنبي ارميا بين كثيراً منه في مراثيه وفي عد١٠ «فسر» والاصل فارادو في عد ١٠ أيضاً «ان جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نسلا» ولم يكن في الاصل العبراني لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يرى نسلا وفي مزمور ٢٢ عد١٦ «ثقبوا يدي» والاصل «كاسديدي» مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل العبراني والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل لوقا ص٥ عد١٧ ولم يؤيد التواريخ . ونبين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة ونذكر نبذة في فضائل الاسلام ونطلب منه تعالى العون في البدء والختام

(تنبيه) في نبوة اشعيا ص٤١ عد٢٥ «أنهضته من الشمال» وقبل وضع الحركات التي وضعت بعد قرون كان ينطق بها «أنهضته من مخبأه» وهو الغار وعلى وضع الحركة فالمراد نبينا «ع م» من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قيدار كما يأتي وفي ص ٤٢ عد ١١ ذكر مساكن قيدار وفي عد ١٣ «خروج الرب كرجل حروب» اشارة للجهاد وقيدار ابن اسماعيل كما في التكوين ص ٢٥ عد ١٣

« ياأخت هارون » ورد انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح

وفي نبوة حزقيال ص ٣٧ عد ٢٤ سمي المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣ تمت في يهوذا المكابي واخيه يوناثان

وموجود بلد اسمها سامره «شمرون بالعبراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ وفي آثار توتمس الثالث وجود يهود بفلسطين قبل دخول بني اسرائيل

احمد ترجمان

باب الأخبار والآراء

نادي دار العلوم

لا يجهل أحد من المتعلمين في مصر أن أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع للبلاد، واقدر على القيام بأعباء التعليم والارشاد،

فتحوا باب البحث في التعريب والترجمة فأفادوا ما افادوا . ثم فتحوا باب البحث في مسألة الربا عند ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن المسلمين لا يمكن ان يحفظوا ثروتهم ويجاروا غيرهم في الارتقاء الا اذا تعاملوا بالربا وانشأوا المصارف (البنوك) المالية . وان الدين اذا كان يمنعهم من كل ما يعرف عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر

خطب غير واحد من اعضاء النادي ومن غيرهم في الربا فكانت خطبهم ينابيع للفوائد النقلية والاجتماعية والاقتصادية . وقد سلك كل واحد منهم مسلكاً أنارفيه المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعريب والترجمة ولم يتصد منهم أحد للكلام فيها من جميع الوجوه الا الرئيس في خطبة الختام . وقد ألقى صاحب هذه المجلة (المنار) كلمات وجيزة في ذلك أدمجناها في التفسير من هذا الجزء ولم يكن بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزاً عن سائرها وإنما كان ذلك هو المجلي للمسألة والمقرب للصواب من الافهام

ثم بحثوا في مسألة الزواج والعادات في الخطبة والاحتفال في العرس فأجادوا وافادوا

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

اقتراح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقتراح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعد

نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحثة بالبادية » وماهو الا خيال باحث في الحاضرة او تمني متفرنج في العاصمة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتقلهم من مبادي التقاليد الأوربية الى غاياتها

لا أنكر ان بعض العلل التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف لمثله وضعت الامم الوثنية من قبل التماثيل والنصب وبنت القبور وشرفتها ، وعظمت هذه الآثار الماثلة حتى عبدتها ، ولكن كان إثمها اكبر من نفعها ، وشرها اكثر من خيرها ، ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشييد القبور وتشريفها كما في حديث علي كرم الله وجهه في صحيح مسلم وغيره « لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفا الا سويته »

ربما قالت باحثة البادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس رسوم الوثنية حتى لا تنازع التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في هذا العصر « عصر المدنية والنور عصر المادية والعلوم » واذا انتفت العلة انتفى المعلول

قد قال مثل هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره في المؤيد رداً على من انكر نصب تمثال لمصطفى باشا كامل وسكت له الجمهور على ذلك ولكنهم لم يكونوا بسكوتهم مذعنين

ما أسهل تفنيد هذه الشبهة على الاعتراف بصحة ما قيل من سبب تحريم الاسلام للتماثيل والنصب والقبور المشرفة ! الا اكتفي بأن أقول ان هذه شعائر وثنية منع الاسلام صورتها لأنها تذكر بمعناها ولو بعد حين ، ويخشى ان تعيد روح الوثنية الى نفوس

المستعدين ، فلا نعيد هـذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سداً للذريعة ولو في مستقبل الزمان، بل أقول أيضا ان العلة غير مأمونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير العوام ، فلو نصبت التماثيل و بنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور، فانها لا تلبث ان تصبغ بالصبغة الدينية بمصر و يتبرك بها او يعبدها الجمهور، وأستدل على ذلك بأقوال دعاتها وافعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامة من أهل مصر بل بعض الخاصة لهم ولع فائق بزيارة الاضرحة واعتقاد راسخ بنفع اصحابها حتى انك لو دفنت حماراً و بنيت له ضريحا وقبة لزاره عدد من الناس يتبركون به وهم يعلمون انه حمار فاذا كان الامر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظمائهم » اه

ونحن نقول مع الباحثة ان عظماء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا ما يحرمه الاسلام و يعده معارضاً للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين فنقول كيف نأمن ان تعظم اضرحتهم تعظيما دينياً بعد ان يتخذ لها مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من ائمة الدين وداع من دعاة القرآن ومحام عنه وعن السنة ، واقوى خاذل في عصره للبدعـة ؟ كيف نأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ،ولا في الدفاع عن أصول الاسـلام وعقائده ، ـ قد نحله أشياعه جميع الالفاظ التي يعظمون بها ائمة الدين وأولياءه كقولهم: فقيد الاسلام، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه. بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء وكاد بعضهم يفضله عليهم. وذكر أخوه الصغير في مناجاة ناجاه بها ان روحه مشرفة على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن ! ! وذكر اخوه الكبير من أنباء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهراً مختوناً ، وجعله بعضهم ثاني النبي (ص) في عظمته وكلامه كالانجيل والقرآن. وقال فيه شوقي شاعر الامير

او كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت في القرآن

هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شيء في رثاء الانبياء والصديقين،

بل كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، (٣٩ : ٣٠ انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أي انك يا محمد تموت وهؤلاء المشركون الذين قالوا (٥٢ : ٣٠ نتربص به ريب المنون) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم؟) الآية وقد نزلت عندما فتن بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صائح « قتل محمد »

أفرأيت من يغلو فيه الناس ذلك الغلو الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب — وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارقين وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء، وانه نفعنا اكثر مما نفعنا الاسلام؟— أيستغرب ان يعظم تمثاله وقبره تعظيماً دينيا ؟ ؟

فيا أيها المتفرنجون أربعوا على ظلعكم وخففوا السير واتئدوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم والخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستعجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأنتم لم تبنوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الإسلام، ولا تستطيعون ان تحفظوا بقية الممالك التي فتحها لكم الاسلام،

إذا فرضنا ان ما ترمون اليه بالتماثيل ونقل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والاقتداء بسيرتهم هو مما يفيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لمجرد نصوص أئمة المذاهب التي تنتمي اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة إلى أسباب العزة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعو اليها داع، وقلما يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع،

أليست المدارس العلمية والدينية، والكتب التاريخية والفنية، والجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ؟ فلماذا لا تبذلون لها المال، وتدعون الى تعميمها في البلاد ، أليست مدرسة مصطفى كامل افضل مايعزى اليه من الاعمال ، فلماذا لا تبذلون لترقيتها ما جمعتم للتمثال، أليست آثار الاستاذ الامام، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل مايحيا به ذكره ، ويرغب في التأسي به ، فلماذا لا تبذلون المال لنشرها، وتعميم النفع بها ؟ ؟

الفصل السابع (*)

جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لذاته عند الطبع ، ومحبوب لفائدته عند العقل ، ومع كثرة ما ألفت العيون رؤيته ، والآذان سماع أحاديثه ، لا تزال أسراره موضوع التفكر ، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإعجاب ، كيف لا وهو السر الاعظم في جذب الانسان الى مقاماته العلى من الابداع ، والسبب الاكبر في ابعاد ما بينه وبين الحيوان في مراقي الوجدان والادراك . فشرفه مجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم . وإنما قوم حرموه فقد باؤا بحرمان عظيم . ولذلك لم نجد بدًّا من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة» فانها مزية جديرة بالذكر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء القوم انهم كانوا الاحظ لهم من الجمال ، ولا ذوق لهم في الحسن ، ولا نصيب من توجه النفس الى الاحسن .

كَبُرت سُبَّةً أن يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتآلف في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم يكونوا مع ذلك ذوي خلقة جميلة وصورة بديعة

وكَبُر منا تقصيراً ان لا نبين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب هذه السيدة وقومها فان استغرب قوم لم يعيروا اسرار الخليقة نظرةً تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في موضعه على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبهم الانيس ، ويجدهو فيهم أهله الكرام

(*) من سيرة السيدة خديجة

ان العرب قد تناسبت أجزاؤهم، وتناسقت أوضاعهم، واعتدلت أشكالهم، بياضهم جميل ،ليس فيه بهق بعض الاجيال، وأُدمتهم لطيفة، ليس فيه حلكة بعض الاقوام، ولعلّ من فازت من حسانهم بحظ عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين، وتكون آية المنتهى في جمال العالمين،

والمشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمعن بما يتناقله الكل من صفات الحسن يجد ثمة جهة جامعة ومقياساً واحداً تتفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وانما هو باعتدال القامة، واستواء الهامة، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعه، وحلاوة المبسم، وملاحة العينين، ولطف الحاجبين، ورقة الشفتين، ولعلّ هذه المذكورات أكثر في العرب حتى ندر ان تجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهوريهم ومشهوراتهم. واذا اضيف الى ماذكرناه بياض الاديم وتشربه بحمرة او صفرة كان ذلك فضلاً في الجمال، قد يبلغ به منتهى الكمال، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يكثروا في كلامهم من شيء بمقدار ما أكثروا من وصف الجمال وقد رأيناهم يستحسنون هذين اللونين كثيراً: البياض المشرب بحمرة اوالبياض الضارب الى صفرة. قال ذو الرمة احد شعرائهم:

بيضاء صفراء قد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب

وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القرآن المجيد تشبيه حسان

الجنة باللؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى عهدنا هذا في أنَّ هـذا اللون هو الذي تكون صاحبته أقرب الى الكمال في الجمال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عند ما ينطبع فيـه الاحمرار لسبب من الاسباب تكون حمرته ألطف من الحمرة الملازمة لبعض البيض وعن مثل هذا دبّر عديّ بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حمرةٌ خِلْطَ صفرة في بياض مثلما حاك حائـك ديباجا

ولكثرة البياض اللطيف في العرب شبّهوه بالصبح واشتقوا من الصبح لونا فقالوا للابيض صبيح ، واشتقوا من الزهر لوناً فقالوا للأبيض المشرب بحمرة أزهر. وتشبيهم بورد الخدود دليل على كثرة هذا اللون فان هـذه الحمرة لا تنطبع الا على أديم أبيض ورأيناهم يشبهون الاعناق كثيراً بأباريق الفضة كما قالت قريبة بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس بعجيب بعد أن كان الجمال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجدهم مغرمي القلوب بمجالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بعد ذلك اذا وجـدنا حب الجمال قد لطَّف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، ونقلهم من حال الى حال ، الى أن تهيأوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجمال الى أعلى ، ومن هذا الغرام الى ماهو أولى ، نقلتهم الى تصور الجمال الالهي مصدر كل جمال ، ورقت بهم الى عشق الكمال المعنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصعب على أولئك

الذين شغفهم الجمال المحسوس، ان يفهموا الجمال المعقول، وان يزدادوا نصيباً منه مع نصيبهم من ذاك ولم يعزّ عليهم ان ينتقلوا الى العالم الجديد الذي دعوا اليه لانه تبدّى لهم أجمل مما كانوا عليه

ونحن اذ نرى للعرب الحظ الاوفر من الشغف بالحسن والاستحسان نزيد قدرهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد انهم كانوا لذلك العهد من أرقى الاجيال الراقية على بعدهم عن الزخرف ، وعدم تعلقهم بكل أسباب الحضارة، ولعلنا اذا بحثنا عن المؤثر الاعظم في وفرة جمال هـذا الجيل نجد ذلك لانهم خصوا بأخذ المعتدل من المعاش، والتنقل في المعتدل من الاقاليم، وحبب اليهم المعتدل من المهن والاعمال ، وأضافوا الى ذلك أنهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً وللانتخاب دخل كبير في تحسين الجنس وتجويد النسل .

وان بدا لأحدهم أن يتزوج بمن سمع بجمالها سماعاً تجده لا يقصّر في البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقهن ، وجودة امعانهن، والحكاية الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجيل وعلى مبلغ هذا الشعب من الجمال :

أراد ملك من ملوكهم (هو عمرو بن حجر ملك كندة جد امرئ القيس) أن يتزوج ابنة عوف بن محلم (الذي يقال فيه لاحرّ بوادي عوف لافراط عزه) وكانت ذات جمال فوجّه اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر اليها وتمتحن ما بطن عنها فلما رجعت قال لها الملك « ماوراءك ياعصام »

قالت : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك ،ان أرسلته خلته السلاسل،وان مشطته خلته عناقيد كرم جلاه الوابل ، ومع ذلك حاجبان

كأنهما خطا بقلم ، أوسودا بحمم ، قد تقوسا على مثل عين المهرة ، التى لم يرعبها قانص ولم يذعرها قسورة ، بينهما أنف كحد السيف المصقول ، لم يخنس به قصر ولم يمض به طول ، حفّت به وجنتان كالأرجوان ، في بياض محض كالجمان ، شق فيه فم كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غرر ، ذوات أشر ، يتقلب فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، يزين به عقل وافر ، وجواب حاضر ، يلتقي بينهما شفتان حمراوان كالورد ، يحلبان ريقا كالشهد ، تحت ذلك عنق كابريق الفضة ، ركب فى صدر هاتمثال دمية ، يتصل به عضدان ممتلئان لحماً ، مكتنزان شحماً ، وذراعان ليس فيهما عظم يمس ، ولا عرق يجس ، ركبت فيهما كفان رقيق قصبهما ، تعقد ان شئت منهما الانامل ، نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها — الى أن قالت حين انتهت الى وصف ساقيها — وشيتا بشعر أسود ، كأنه حلق الزرد ، يحمل ذلك قدمان ، كحذو اللسان ، — فتبارك الله مع صغرهما ، كيف يطيقان حمل ما فوقهما ، »

ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور كقول بعضهم من قصيدة

وبزين فوديها اذا حسرت   صافي الغدائر فاحم جعد
فالوجه مثل الصبح مبيضّ   والفرع مثل الليل مسودّ
وجبينها صلت وحاجبها   شخت المخط أزج ممتد
وكانها وسنى اذا نظرت   أو مدنف لما يفق بعد

فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لرهط خديجة حظ منه كبير ولم يكن حظها هي منه قليلاً

الفصل الثامن

ثراؤها والثراء عند قومها

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاها الله من الجمال وفضائل النفس حظّ من الثراء ايضا وثراؤها في حياة أبيها وكانت تاجرة ولعلّ اباها نحلها رأس المال بادىء بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شيئاً يعجب منه في قومها فانهم كادوا يكونون كلهم تجاراً تقضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد، وشريعة تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود، ومنافسة الاقرب والأبعد، ولولا شغفهم بهذا لما سمعنا بصدى همتهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولاه لاستطابوا من العيش ما استطابه ذلك الاعرابي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسائله : « بخ بخ عيشنا عيش تعلل جاذبه ،[1] وطعامنا أطيب طعام واهنؤه وأمرؤه ، القت[2] والهبيد[3] والصليب[4] والعِلهز[5] والذآنين[6] والعراجين[7] والضباب[8] واليرابيع[9] والقنافذ[10] وربما أكلنا والله القدّ[11] واشتوينا الجلد ،

---

(١) تعلل من العلل وهو الشرب بعد الشرب «٢» القت الفصفصة وهي الرطبة من علف الدواب «٣» الهبيد الحنظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة «٤» الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها «٥» العلهز قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطعام يتخذ في المجاعة من الوبر والدم (٦) الذآنين جمع ذؤنون نبت طويل ضعيف له رأس مدور (٧) العراجين جمع عرجون العود من النخل (٨ — ٩ — ١٠) الضباب اليرابيع والقنافذ حيوانات معروفة «١١» القد جلد السخلة

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرخى بالاً ،ولا أعمر حالاً ،أوما سمعت قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه :

إذا ما أصبنا كلّ يوم مُذَيقةً (١)　　وخمس تميرات صغار كوانز
فنحن ملوك الناس خِصباً ونعمة　　ونحن أسود الناس عند الهزاهز
وكم متمنٍّ عيشنا لا يناله　　ولو ناله أضحى به حق فائز

فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعة ، ورزق من السعة ، وإياه نسأل تمام النعمة »

هـذا ما استطابه الاعرابي وحمد الله عليه هذا الحمد . وما الاعراب الا بشر قد يستطيب غيرهم من البشر ما يستطيبون اذا خلصوا الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة ما يقيم مادة البدن فقط كما تطلبه سائر الحيوانات بل يتسابقون الى ما به الغبطة من المقتنيات والذخائر ويتبارون في ما به التمايز من المستحسنات والبدائع ، وبمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطةً من المعارف ، وقوةً في المدارك

وقريش كما عرف القارىء كانوا ممن أعدّهم الله لعمل عظيم في الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه مالم يكن في سابق تربيتهم وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيستأنفونه وما أمامهم الا المغامرة في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لائقاً بمن هم عتيدون لمثل ذلك ان يقبعوا في بلدهم ولا يعرفوا العالم ، ولا تميل نفوسهم الى خيرات السماء والارض الفائضة في ملك الله الواسع ، بل اللائق

(١) المذيقة تصغير مذقة وهي شربة من اللبن الممزوج بماء كثير

بهؤلاء أن يكون كل واحد منهم أنطق حاله بقول ذاك الشاعر من أبناء ملوك العرب (امرىء القيس)

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنّما أسعى لمجد مؤثَّل وقد يدرك المجد المؤثّل امثالي

وحقا كانت حال القرشيين ناطقةً بمثل هذا الكلام ، وكلّ منهم له في المجد أرب ، فلا بدع اذا انصرفت أنفسهم الى تحصيل المال فانه أعظم أدوات هذا المطلوب وقد نجح فيه منهم كثيرون ونفعوا بالغنى قومهم عند الشدائد منهم عبدالله بن جدعان الشهير بجفنته التي كان يقدمها للفقراء والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمد قومه بالسلاح في حرب حاربوها وسلّح مئة كميّ من غير قومه ممن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل أحد اخوة السيدة « خديجة » العوام ابو الزبير (١) ومنهم أمية بن خلف ابن وهب وابنه صفوان الذي أثر عن النبي (ص) انه قال فيه « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » أي بلغ ماله القناطير (٢) وكثيرون غير هؤلاء

فيالله ما أشبه قريشا الضاربين في أغوار رمال العرب وأنجادها لنقل المتاع من هذه البرية وإليها على مراكبهم سفن البر ، بالفينيقيين الضاربين

(١) تحاربت في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها اربعة عشر عاماً وحضرها مع اعمامه يهيئ لهم النبل · وعبدالله بن جدعان سري شهير ومثر كبير وهو من تخذ بني جمح

(٢) أمية من تخذ بني جمح أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي (ص) اما ابنه صفوان فاسلم بعد فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم

في أكباد تلك المياه وأطرافها لنقل البضائع من هـذا الثغر الى ذاك على مرا كبهم قلائص البحر . فلئن كان لأبناء تلك السواحل رحلتا شتاء وصيف بين زئير الامواج ، ومماركة الامواه، فلأبناء هذه البراري أيضا رحلتا شتاء وصيف بين عُواء السباع ، ومعالجة الرمال

لعمر الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لانفسهم ولجيرانهم انما هو في أن يحفّوا للتجارة لانها في الامم أقوى الاسباب المقربة من البدائع ، المبعدة عن الحياة الوحشية ، فقاموا بهذا المرغوب غير كسالى فكان لذلك ربحهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالاقوام في ذلك العصر السحيق والمكان البعيد. وكان بلدهم على هذا البعد عن العمران المتصل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الحج الذي كانت تحجه العرب الى البيت المعظم الذي فيها وجدير ببلدة يحج اليها العرب ذلك الحج ان تكون للامن داراً، وانما تبسق شجرة التجارة في رياض الامن.

وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً موقتةً في العام قبيل أيام الحج ويفدون اليها ليبيعوا ويشروا . أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه « ذو المجاز » وهو عند عرفات و « مجَنّة » وهي موضع باسفل مكة و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشان ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبعده عن مكة كان يبعث كل عام الى سوق عكاظ جمالاً محملة بزّا وطيوباً لتباع في هـذه السوق ويشرى له

بثمنها من أدم الطائف (١) مايحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يجيرها له شريف من شرفاء العرب

وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحاصلات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأعنابها وفواكهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زبيب الطائف ذلك الزبيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأي بيادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقيس ثقيفاً فكذلك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من أدمها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغي الاحمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازية مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجعون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي . وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقيموا السوق الدائمة في تلك البلدة «أم القرى»

ولا يستريح القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله العذر في ذلك اما نحن فنذهب حيرته ببيان وجيز لا يسعنا اكثر منه لئلا ينقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها رأس مال طبيعي كسائر البلاد. ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للدبغ وبعضها للطب وبعضها

«١» الادم بضمتين وبفتحتين الجلود المدبوغة والواحد أديم

للطيوب وبعضها للتنظيف فاذا أضفت الى ذلك ما كانوا يجففونه من ألبان الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبد ومن أصوافها وأوبارها وجلودها وما كانوا يجففون من التمر والزبيب وغيرهما تجد بضاعة غير يسيرة يحمل مثلها الى أطراف بلاد الشام مما هو الى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه في العواصم

نحن اليوم لا نتصور مجتمعاً حضريًا الا بأن يكون فيه أمير مسيطر وجند له حافظون، وزرّاع وصناع وتجار للمعاش ضامنون، وقد رأى القارىء ان مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجند له فعسى ان لا يقيس على استغنائه عن سيطرة الامير استغناءه عن الزراعة والصناعة والتجارة كلا فان هذه الثلاث لا قوام لقوم بدونها . ونحن اذا ذكرناها كان من النصيب لقوم «خديجة» منها لا نقصد به عدّ مفاخر لهم الا من جهة انهم تغلبوا بعدار كهم وهممهم على كل ما كان يحول بينهم وبين المغامرة في إدراك شأو الأمم والابتعاد عن البداوة من بعد ان أوشك جوار البادية ان يجذبهم اليها كما جذب إخوانهم الآخرين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منقطع عن العامرة وأعطوا الحضارة حقها على صعوبة الوفاء لها بهذا الحق . وتراهم مع هذا لم يخالفوا سنن العرب فيما يأنفون منه ويترفعون عنه فأقاموا ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلدهم ولكن على أيدي عبيدهم لان العرب كانت تأنف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا اليه من الزراعة على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلدهم ولكن لم يكن خالياً

منها البتة فهناك اودية يجود فيها الزرع والغراس وتجري فيها العيون . وما الطائف عنهم ببعيد وهو أبو الزراعة

اما التجارة فلم تكن العرب تأنف منها فلذلك باشرها القوم بأنفسهم كما باشر بعضهم بعض الصناعات التي ماكانوا يأنفون منها . فنهم من كان يبيع اللباس، ومنهم من كان يبيع الادهان، ومنهم من يبيع اللحم، ومنهم من يبيع الاداة والماعون والسلاح، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الاشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الا كسية المعتادة، وضروب الاطعمه والاشربة المعهودة، وصنوف الماعون والاداة اللازمة، والعقاقير المعروفة، والحيوانات المتداولة، والأسلحة الشائعة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السماسرة ويقال ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشهير كان بزازاً ويقال انه كان سمساراً كما ان أبا بكر الخليفة الاول كان بزازاً (رضي الله عنهما)

ومهما كان ذاك المجتمع أقل تشبثاً بالزخرف وأبعد عن التسابق الى المتاع الزائد عن الحاجة نرى ان حاجاته التي تحتاج الى عمل التجار لم تكن قليله ونرى أنها وحدها كافية لان يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الاول في ثراء قريش وكثرة المثرين منهم لاننا لم نعهد لهم الى ذلك العهد وجها من وجوه المرابح ونماء المال أعظم منها

وأصناف الاموال التي كان الثراء بها عندهم هي الذهب والفضة، والابل، والرقيق، والاراضي للزرع والغراس، والاراضي للمعدن، .

أما الذهب والفضة فهما الواسطة العظمى في تبادل العروض والاعيان

ومن مطالعة أخبار القوم يظهر انه كان لديهم منهما شيء كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » ومن شواهد ذلك انه بعد ان ظهر الاسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته (المدينة) والآخر عدوّ له في وطنه (مكة) أدّت تصاريف العداوة الى اشتعال حرب بين الفريقين في المحل المسمى ببدر بين مكة والمدينة فكان الظفر لاصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشيرتهم سبعون أسيراً افتدوا أنفسهم ووزنوا في فدية الواحد أربعة آلاف درهم فتكون الجملة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرياً من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ماعليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم. ومنها ما ورد من انهم اتفقوا على حرب النبي في أُحد ربح العير التي جاء بها ابو سفيان من الشام وقدره خمسون الف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبعضها كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها الا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلّت النقود الأجنبية الى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية

وأما الابل فهي أوفر أصناف أموالهم والابل مال كثير البركة لصاحبه فالقليل منها فيه الغنى والنَّماء، والنعمة والهناء، من درّها الغذاء، ومن أوبارها الكساء، ومن جلودها الماعون والحذاء، ومن بعرها الوقود

للطبخ وكشف الظلماء ، وظهورها مراكب للظعن والحمل والنجاء ، (١)
وبطونها أعظم بها واسطة للنماء ، فبعيشك أيها المطالع ! في أي صنف من
أصناف الاموال الحضرية يجد أحدنا مثل هذه البركة ، التي لا تحتاج الى
شيء عظيم من الحركة ؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يعدُّ مالا في جميع جهات الارض
وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق واذا صرفنا النظر عن استهجان
هذه العادة نرى ان لا شيء أنفع من عمل الآلة المتحركة بنفسها ، النامية
بطبيعتها ، المدركة بخلقتها ،

وأما الاراضي للزرع والغرس فكان فيهم أفراد يملكون منها كثيراً
ومن متمولي قريش من كان يملك اراضي في الطائف كعتبة وشيبة ابني ربيعة
(من فخذ بني عبد شمس) وغيرهما

وكان نظر القوم الى الزرع والضرع أعظم من نظرهم الى الذهب
والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال « حجران يصطكان إن أقبلت
عليهما نفدا وان تركتهما لم يزيدا ، ان أفضل المال برّة سمراء ، في تربة غبراء ،
او عين خرّارة ، في أرض خوّارة ، » أشار بهذه الكلمات القليلة الى ان
الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الارض
التي هي اول رأس مال اما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن
حركات دولاب الاعمال فقط . وهذا هو الاس الصحيح في علم ثروة الامم

واما أراضي المعدن فالظاهر أنّ بعضها كان مشاعا وبعضها كان مملوكا
اما كون بعضها مشاعاً فنأخذه من عادة العرب في جاهليتهم من انهم لم

« ١ » النجاء الهرب

يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن انما يجعل لها حمى وحرما الملوك الذين يعدونها من جملة الاموال العمومية التي هي حق للخزانة العمومية خزانة المملكة . واما كون بعضها كان مملوكاً فنستفيده مما قرأناه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي (١) الذي كان يملك معادن بني سليم . وكأنهم لشيوع ملك بعض الناس بعض المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بعد الفتوح ان يقطعه شيئاً منها فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القَبَلِيّة (منسوبة الى قَبَل بفتحتين) وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه أياها وأقطعه جبل قُدْس للزرع

هذه هي أصناف الاموال التي كان بها ثراء هؤلاء القوم يضاف اليها العروض والامتعة التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول اليوم كل ثراء . فان ملك الارض والمعادن لا يزال ايضا ينبوعاً ثرورا للثروة ، واستخدام الفعلة بأجر بخس نوع من الاستعباد والاسترقاق اعني ان فائدته المادية كفائدته ، والنقود لا تزال كثرتها وقلتها ايضا معيارا

«١» الحجاج بن علاط ليس بقرشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجا من قريش « من بني عبد الدار رهط خديجة »وكانت أمواله تستثمر في مكة وكان مكثراً من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « ص » فقال له أن لي ذهباً عند امرأتي « في مكة »وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فائذن لي لأسرع السير واخبر أخباراً اذا قدمت أدرأ بها عن مالي ونفسي فأذن له النبي « ص » وقدم مكة وأخذ أمواله بحيلة

«٢» جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيما لثروة الاسم، وعلى مقدار ما تقدم كله يكون محور التداول للعروض والامتعة والاثاث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يباشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يعطي من ماله الى آخر على ان يتجر به ويكون الربح بينهما أو يعطيه بالربا وكان معهوداً فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالبة فلم يكن بأس على المال بتسليمه الى من يتجر به بالمؤاجرة او المضاربة فلذلك لم تصعب التجارة على السيدة خديجة التي كان لها ماللنساء قومها من الاستقلال في أموالهن ولم يكن لابيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت تبعث به الى التجارة مع ذوي الامانة ذاهبا وآيبا

وفي إيثار هذه السيدة إرسال أموالها في التجارة على الاتجار بالنقود في مكة كما يفعل المرابون دلالة على بعد نظرها ، وعلو همتها ، وعظيم عطفها وحنانها على وطنها وأهل الأوطان تسمو باقدام أرباب اموالها على نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء ، ولا يكون لها مثل ذلك بشبوع المتاجرة بالنقود

الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين تزوجت أبا هالة النبّاش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد المخزومي. وكان الزواج المرضي في الجاهلية كالزواج في الاسلام أي ان الرجل يخطب الى الرجل بنته او من له عليها ولاية ويقدم صداقها فيزوجه . واما ما يذكر من أنواع أنكحة الجاهلية الاخرى فهو من باب السفاح لا من باب الزواج المرضي ولم يكن السفاح والمخادنة من فعل الشرائف والكرائم، وانما يفعل اغلب ذلك الإماء والحقائر

وولدت هذه السيدة ولداً من ابي هالة وسمته «هنداً» على عادة العرب اذ كانوا يضعون للذكور احياناً أسماء الإناث فهند هذا هو ربيب النبي (ص) أخو فاطمة لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الاسلام وأسلم. روى عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الشمائل وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل هند مع علي يوم الجمل

سيعجب القارىء من زيادة تعريفنا لابنها هذا ونحن لانكتمه السبب وذلك اننا نحب ان لاندع شيئا مما يتعلق بسيرة هذه السيدة مغفلاً ومهملاً ولا سيما بعد اذ رأينا أكثر الذين كتبوا في سيرتها لم يتعرضوا لذكر ولدها هذا فكاد يضيع ويخفى الا على المنقبين في بطون الاسفار الواسعة وعذرهم

في ذلك انهم انما يتعرضون لسيرة هذه الفاضلة على الغالب منذ تشرفها بزواج النبي (ص)

وان لنا — والحق يقال — حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن يعرفونا بشخص ممن مضى فيمسكون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يقطعونه ويجذبونها الى شيء آخر

على انني لا أنكر انه اذا سطعت الشمس لا يبقى لبصيص السراج مكان. فمن ذا الذي يعلم ان هذه السيدة اتصلت بشمس الهدى « محمد » صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء امّ الحسنين ثم يرجع باحثاً عن ابنها ذاك من زوجها الاول ابي هالة ؟

لعمرك اذا وصلت بسيرتها الى هذا المقام تضاءلت امام نظرك كل ما تسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك الى الاطلاع على هذا الشأن الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رنّ الكون كله باسمه الشريف

فمن هنا بدء الحياة العليا لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها في لوح الوجود ، وبدء إشراق مواهبها في سماء السعود ، أمامها الآن الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل، وليفض نوراً وسناء ، وليتبارك كمالاً وبهاء
